المشرق

رسالة الحبر الاعظم

واتحاد الكنائس

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

في عيد الفطاس من هذه السنة ١٩٢٨ ، نشر قداسة الحبر الاعظم رسالة عامّة في الوحدة الدينيّة الحقيقية اشرقت كالشمس في ليل مدلهمّ فبدّدت الظلام وانارت العقول

اتت هذه الرسالة في انسب وقت ، بعد تلك الضجة التي احدثتها مسألة « كتاب الصلوات » الانكليكاني واتصل صداها الى اقصى المعمور ؛ وعقيب المؤتمرات العديدة التي عقدها البروتستانت في انحاء شتى ليوجدوا شيئاً من الوحدة الدينية بين جميع الكنائس ، فلم يهتدوا الى الطريق المؤدية الى الوحدة المرغوب فيها ، وحدة الايمان التي بدونها لا يمكن ان تكون وحدة

اذا ألقينا نظرًا عموميًا على العالم المسيحي ، رأينا الكنيسة الكاثوليكية متسمة بالوحدة الكاملة في الايمان ، والاسرار ، والرئاسة . فالكاثوليك اينما وُجدوا ، وهم ثلاثمائة وخمسون مليوناً منتشرون في كل اقطار العالم وفي جميع الممالك ، يتلون بكل اللغات قانون الايمان ذاته ، ويقبلون الاسرار ذاتها ، وينقادون لرئيس واحد يعتبرونه نائب المسيح على الارض ، ومعلّم الكنيسة جمعاء في ما يخصّ الايمان والآداب

واذا نظرنا الى الكنائس الغير الكاثوليكية ، تحققنا انهُ ليس لها وحدة تجمعها في الايمان ، ولا في الاسرار ، ولا في الرئاسة . فايمان اللوثراني يختلف عن ايمان الكلويني ، وعن ايمان الانكليكاني . وهكذا القول عن سائر الكنائس البروتستانية التي لا يحصيها عدّ . ويوجد بين اعضاء الكنيسة ذاتها اختلاف جوهري في المعتقد اذ ان كلًّا منهم يفهم الكتاب المقدس كما يُلهمه ، على زعمه ، الروح القدس . والكتاب المقدس هو عندهم الركن الوحيد للايمان دون التقليد . ومن هنا نشأت الاختلافات وتعددت الشيع في الكنائس البروتستانية ، فهي أشبهُ بحجر رَمليّ تكسَّر وتفتت واضمحلّ وصار تراباً تذريه الرياح

اما الكنائس الشرقية المنفصلة عن الكنيسة الكاثوليكية فانها مع رفضها بعض الحقائق التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية كانبثاق الروح القدس من الآب والابن (١) ، ورئاسة الحبر الاعظم على الكنيسة (٢) ، وحقيقة المطهر ، وسعادة نفوس القديسين قبل الدينونة العامّة ، تُحافظ على مُعظم الحقائق التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية كسرّ الافخارستيا ، وذبيحة القدّاس ، ووجود السيد المسيح حقيقةً تحت اعراض الخبز والخمر ، وسرّ التوبة لمغفرة الخطايا للتائبين بالاعتراف الصادق للكاهن المفوّض ، والتقليد احد ركني الايمان ، ودوام الكهنوت الخ . فهذه الكنائس ، بمحافظتها على هذه الحقائق ، تشهد للكنيسة الكاثوليكية ضدّ شيع البروتستانت وتحكم عليهم . فاذا دامت الوحدة غير موجودة في العقائد الايمانية ، والطاعة المرئيس المقام من السيد المسيح ليرعى جميع خرافه وغنمه ، فيبقى تُطلب الوحدة بين الكنائس

ان السيد المسيح قبل صعوده الى السماء رتّب الكنيسة في كل اركانها الجوهرية . فأسّس كنيسة واحدة لا كنائس متعدّدة ، انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي » (متى ١٦ : ١٨) لم يقل كنائسي بل كنيستي . وهذه الكنيسة الواحدة هي جماعة منظورة مؤلفة من البشر فلا بدّ لها ، كسائر الجماعات

(١) راجع مقالتنا في انبثاق الروح القدس ، في كتابنا الحقائق الالهية في الكنيسة الجامعة

(٢) راجع في الكتاب ذاته مقالتنا في رئاسة القديس بطرس

البشرية، من رئيس واحد منظور يحفظ فيها وحدة الايمان والسلطة. وهذا الرئيس هو بطرس الرسول وخلفاؤه. وقد سبق السيد المسيح ولقّبه كيفا(١: «انت سمعان ابن يونا انتَ تُدعى كيفا الذي تفسيره الصفاة» (يوحنا ١: ٤٢)، «سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكلُّ ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماوات وكلُّ ما حللته على الارض يكون محلولاً في السماوات» (متى ١٦: ١٩) «صلّيتُ من اجلك لئلا ينقص ايمانك وانت متى رجعت فثبّت اخوتك» (لوقا ٢٢: ٣٢) «ارعَ خرافي ارعَ غنمي» (يوحنا ٢١: ١٥ – ١٧)

وهذه الكنيسة لها غايتها المعيّنة من السيد المسيح، وهي تعليم كل الامم ما علّمهُ المسيح للرُسل والاهتمام بخلاص النفوس «اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم... وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به» (متى ٢٨: ١٩و٢٠) «اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها فمن آمن واعتمد يخلص ومن لم يؤمن يُدان» (مرقس ١٦: ١٥و١٦)

ولهذه الكنيسة ليتورجيتها المقدسة التي مدارها على سرّ الافخارستيا، وقد وعد به السيد المسيح في كفرناحوم، ورسمهُ في العشاء السرّي ليلة موته: «انا الخبز الحيّ الذي نزل من السماء. ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي سأعطيه انا هو جسدي لحياة العالم... جسدي هو مأكل حقيقي ودمي هو مشرب حقيقي» (يوحنا ٦: ٥١و٥٢و٥٦)، «خذوا كلوا هذا هو جسدي» (متى ٢٦: ٢٦)، «اشربوا من هذا كلكم لانَّ هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا» (متى ٢٦: ٢٧و٢٨)

ولهذه الكنيسة ذبيحتها الطاهرة تُقدَّم لله على الدوام لكي بواسطتها تخصَّص المؤمنين النعم التي استحقَّها لنا يسوع المسيح بموته على الصليب «من مَشرق الشمس الى مَغربها اسمي عظيم في الامم وفي كل مكان تُقدَّم وتُقرَّب

---

(١) كيفا بالسريانية الكلدانية، وكانت لغة السيد المسيح، معناها الصفاة اي الصخرة، وباليونانية πέτρα وباللاتينية (Petra) «بترا». ومنها أُخذ الاسم (Petrus) بطرس، في هيئة العلَم المذكّر «وجعل لسمعان اسم بطرس» (مرقس ٣: ١٦)

لاسمي تقدمة طاهرة لان اسمي عظيم في الامم قال رب الجنود » (ملاخي ١ : ١١) ، «اصنعوا هذا لذكري» (لوقا ٢٢ : ١٩) ، « كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكاس تخبرون بموت الرب الى ان يأتي (١ كور ١١ : ٢٦)

ولهذه الكنيسة ايضاً نظامها الاساسي الكهنوتي : « انتم جسد المسيح واعضاء من عضو . وقد وضع الله في الكنيسة اناساً اولاً رسلاً ثانياً انبياء ثالثاً معلمين . . . » (١ كور ١٢ : ٢٧ و ٢٨) . « وهو (المسيح) الذي جعل بعضاً رسلاً وبعضاً انبياء وبعضاً مبشرين وبعضاً رعاة ومعلمين لاجل تكميل القديسين ولعمل الخدمة وبنيان جسد المسيح » (افس ٤ : ١١ و ١٢) . « بعث (بولس) الى أفس فاستدعى كهنة الكنيسة . . . احذروا لانفسكم ولجميع القطيع الذي اقامكم فيه الروح القدس اساقفة لترعوا كنيسة الله» (اعمال ٢٠ : ١٧ و ٢٨)

وهذه الكنيسة لم يؤسسها السيد المسيح لامة واحدة ولعصر واحد بل لجميع الامم ولكل الازمنة «تلمذوا كل الامم . . . ها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر » (متى ٢٨ : ١٩ و ٢٠) . فليست اذاً خصوصية او وطنية ، بل جامعة كل الامكنة والازمنة والشعوب . ويلزم ان تبقى الآن وفي المستقبل كما كانت على عهد الرسل في اركانها الجوهرية التي رتبها السيد المسيح منشئها لانها ضرورية لخلاص جميع البشر

قال قداسة الحبر الاعظم مبيناً ماهية الكنيسة الحقيقية التي اسسها السيد المسيح : « الكنيسة جماعة منظورة ، بمعنى انهُ يجب ان تظهر كجماعة من المؤمنين متفقين في الاعتقاد بتعليم واحد تحت سلطة معلم واحد وادارة واحدة » . وقال ايضاً : «ان المسيح اسس كنيسته كجماعة كاملة ، من طبيعتها ان تكون ظاهرة منظورة ، تواصل في قابل الايام عمل فداء الجنس البشري بادارة رئيس واحد (١ بسلطة التعليم الشفهي (٢ ، وبتوزيع الاسرار ينابيع النعمة السماوية (٣ . لذلك شبهها في الامثال بمملكة (٤ وبيت (٥ وبحظيرة (٦ وبقطيع (٧ . فهذه الكنيسة

---

١) متى ١٦ : ١٨ و ١٩ ولوقا ٢٢ : ٣٢ ويوحنا ٢١ : ١٥ — ١٧ ٢) مرقس ١٦ : ١٥
٣) يوحنا ٣ : ٥ و ٦ : ٤٨ — ٥١ و ٢٠ : ٢٢ وما يلي . ومتى ١٨ : ١٨ وما يلي
٤) متى ١٣ ٥) متى ١٦ : ١٨ ٦) يوحنا ١٠ : ١٦ ٧) يوحنا ٢١ : ١٥ — ١٧

التي تأسست ذلك التأسيس العجيب لم يكن من الممكن ان تنتهي وتضمحل بموت مؤسسها والرسل الذين كانوا اول من نشروا الدعوة اليها ، اذ قد عهد اليها ان تقود الى الخلاص الابدي الناس كافةً من غير اقلّ تمييز ما بين الازمنة والاماكن : « اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم » (١ . فهل من الممكن ان تُحرَم الكنيسة شيئاً من القوّة والتوفّق للقيام بهذه المهمة الدائمة في حين ان المسيح نفسه يمنحها مساعدته الدائمة بناء على ذلك الوعد الشهير «ها انا ذا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر» (٢ اذن لا بدّ من ان تبقى الكنيسة كما كانت في عهد الرسل اليوم وفي كل زمان »

فمثل هذه الكنيسة الواحدة الرسولية الجامعة لا يتحقّق وجودها الّا في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية . فانها وحدها تعلّم تعليم الرسل ، وهي ايضاً واحدة في ايمانها واسرارها وسلطتها . وهي جامعة لانها تمتدّ الى كل الازمنة والامكنة ، وتجمع ضمنها من كل الشعوب واللغات والطقوس من عهد الرسل الى الآن والى منتهى الدهر لان السيد المسيح اكّد ان « ابواب الجحيم لن تقوى عليها » (٣ . امّا الكنائس الغير الكاثوليكية فانها تضادّ في تعليمها تعليم الرسل وليست كنائس جامعة ، ولا وحدة تربطها في الايمان ولا في السلطة ، بل هي كنائس خصوصية ووطنية ومنقسمة بعضها عن بعض . فهي نسطورية او يعقوبية او لوثرانية او كالوينية او انكليكانية الى غير ذلك من الشيع التي لا تُحصى

انّ البروتستانت يؤسفني المحافظين منهم على شيء من الدين ، قد انتبهوا في السنين الاخيرة واستيقظوا من غفلتهم وعرفوا ان كنيستهم ، او بالحري كنائسهم ، ليست كما كانت في ايام الرسل وفي اوائل النصرانية ، وانهم فقدوا الوحدة التي ارادها المسيح وجعلها من مميزات كنيسته وبرهاناً على ارساليته الالهية . لانهُ في خطابه لتلاميذه في العشاء السرّي عندما صلّى الى ابيه طلب لهم هذه الوحدة

---

١) متى ٢٨ : ١٩ .
٢) متى ٢٨ : ٢٠ .
٣) متى ١٦ : ١٨

فقال : « ليكونوا باجمعهم واحداً كما انت ايها الآب فيَّ وانا فيك ، ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا حتى يؤمن العالم انك انت ارسلتني » (يوحنا ١٧ : ٢١) . وقوله ايضاً : « بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي إذا كنتم تحبُّون بعضكم بعضاً » (يوحنا ١٣ : ٣٥)

فاذ تحقق البروتستانت انهم فقدوا الوحدة واختلفوا تماماً عن الكنيسة الرسولية ، صمموا الثبة على ان يُوجدوا نوعاً من الوحدة بين جميع الكنائس الكاثوليكية والاورثذكسية والبروتستانية على اختلاف معتقداتها . هذا ما قصدوه في مؤتمر استُكهُلم عاصمة السويج حيث اجتمع ، من ١٩ الى ٣٠ آب ١٩٢٥ ، ثلثمئة مندوب ينتمون الى ٣٩ امة والى ٣١ شيعة ، اتوا من الغرب والشرق ومن العالم الجديد . فكنتَ ترى جنباً الى جنب رئيسَ اساقفة الملابار وبطريرك الاسكندرية للروم الاورثذكس ، وأحد اساقفة تشيكوسلوفاكية ، واسقف ونشستر الانكليكاني ، وكثيرين من قسس البروتستانت الذين وفدوا من برلين وبيرن وجنيف وباريس وتيويرك وشيكاغو وبادو وبكين وبومباي الخ

وقد رغبوا الى الحبر الاعظم ان يُرسل مندوباً من قبله ليشترك في المؤتمر . فذهب الى رومية لهذه الغاية القسيس نيازدر . فقبله البابا بيوس الحادي عشر بلطفه المعهود . لكنه لم يُجب الى رغائبه ولم يُرسل احداً ينوب عنه لانهُ لم يكن ممكناً ان يشترك في هذا المؤتمر للاسباب التي سنوضحها

تمددت في المؤتمر الخطب والتقارير والمباحثات . لكنَّ مساعيهم ذهبت ادراج الرياح ولم يصلوا الى الوحدة المنشودة . لانهم سكتوا عن المسائل المختلف عليها بينهم في الايمان والتي تُثير الاضغان ، واكتفوا بأن يطمئنوا بالمحبة التي يلزم ان تسود في الكنائس مع بقاء كل كنيسة في معتقدها المخالف لمعتقد غيرها

وهكذا القول عن المؤتمر العام الذي عقدهُ البروتستانت في لوزان ، في آب من السنة الماضية . وقد اجتمع فيه مندوبون من ثمانين كنيسة او شيعة مسيحية ، فلم يصلوا الى تقرير معتقد يربط الجميع في ايمان واحد . ومما يستحق الذكر ان البروتستانت لم يمكنهم ان يتفقوا حتى مع مندوبي الكنائس الشرقية

المنفصلة عن الكثلكة. فان الاورثذكس ، بفم رئيس الاساقفة جرمانوس ، اعلنوا في المؤتمر انه من المستحيل ان تتحد كنيستهم مع كنائس البروتستانت ما لم يعترفوا بأربع حقائق وهي: الاسرار السبعة ، والنظام الاسقفي في الخدمة ، وان الكنيسة مؤسسة من الله ، وان قانون ايمان نيقية باقٍ في قوته . فتصريح الاسقف جرمانوس انقضّ كالصاعقة على رؤوس البروتستانت الذين لا يؤمنون بحضور السيد المسيح حقيقة في الافخارستيا ، ولا يقبلون السبعة الأسرار ، ولا النظام الكهنوتي ، ولا دوام قانون ايمان نيقية في حقيقته الاولى . فدُهشوا وساد بينهم السكوت كأنهم ألقموا الحجر . ورأوا حاجزاً متيناً قائماً كالجبل بينهم وبين الاورثذكس. فترى اعضاء الكنائس المسيحية المنفصلة عن الكنيسة الكاثوليكية كما وصفهم القديس بولس (١ «اطفالاً متقلبين مائلين مع كل ريح تعليم بخداع الناس بمكر يُفضي بهم الى مكيدة الضلال». فهم كسفينة فقدت سكّانها (دفّتها) تجري في البحر كما تدفعها الرياح. قال عن مثل هؤلاء الحبر الاعظم في رسالته: « تراهم يُحيرون الآمال بانهم سيحملون بدون صعوبة الشعوب ، وإن مختلفة الرأي في الحقائق الدينية ، على اتفاق اخوي والاعتراف ببعض تعاليم تُتخذ كأساس عام لحياة الروحية . ولهذه الغاية يعقدون المؤتمرات والاجتماعات ويخطبون بحضور كثير من السامعين ، ويَدعُون الى البحث دون تمييز المؤمنين بالمسيح والغير المؤمنين به من اي جنس كانوا . وايضاً الذين لشقائهم تركوا المسيح والمصرّين بعناد على انكار طبيعته الالهية ورسالته »

ولعلّ بعض الكاثوليك الذين يغرّهم ترديد هذه الالفاظ : المحبة ، والاتفاق ، والوحدة ، يلومون رؤساء الكنيسة الكاثوليكية لعدم قبولهم دعوة كنائس البروتستانت الى حضور مؤتمراتهم والاتفاق معهم على ايجاد الوحدة العامّة في الكنيسة . فلهؤلاء الكاثوليك نقول : ان الفكرة في الوصول الى الوحدة المسيحية العامة هي في حدّ ذاتها حسنة وممدوحة ويلزم الجميع ان يرغبوا فيها ويبتهلوا بصلوات حارّة الى الله لتحقيقها . الّا ان الكاثوليك يختلفون عن الغير

(١ افس ٤: ١٤

الكاثوليك في الوسائل الواجب اتخاذها للحصول على الوحدة المشتهاة. فالبروتستانت يريدون الوحدة بأن يضحي كل فريق شيئاً مما يتمسك به من المعتقدات ، للوصول الى معتقد وسط يرضى به الجميع ويقبلونهُ . « لا يعتبرون الكنيسة المنظورة الّا كتحالف يتألف من جماعات عديدة من المسيحيين رغمَ انّ اعضاءها يتبعون تعاليم متباينة متناقضة » (رسالة الحبر الاعظم) . فيتصرّفون في عقائد الدين الجوهرية الموحى بها من الله كما تتصرّف الحكومات في ما تبرمه بينها من المعاهدات السياسية والتجارية. فتترك كل واحدة شيئاً من مطاليبها ليمكنها ان تتفق وتبرم المعاهدات . ومن الواضح الذي لا يشوبه ريب ان الكنيسة الكاثوليكية ، عمود الحقّ والملهمة من الروح القدس ، لا يمكنها ان تسلك هذه الطريق التي هي انكار الوحي الالهي . فالبروتستانت ، في عقد مؤتمراتهم ودعوة الكاثوليك الى حضورها ، يُشبهون رجلاً خسر ملكهُ فرغب الى جاره ان يتخلّى لهُ عن قسم من ملكه ليمكنهُ انْ يتفق ويشترك معهُ. هذا ما يعملهُ البروتستانت في مؤتمراتهم . وقد قال قداسة الحبر الاعظم :

« ان الكاثوليك لا يقدرون بوجهٍ من الوجوه ان يستحسنوا هذه المساعي المؤسسة على النظريّة الكاذبة التي مآلها ان الديانات كلها حسنة وحقيقة بالاطراء على درجات متفاوتة يعني ان الديانات كلها على السواء ، وان كان ذلك بطُرق متنوّعة ، تُظهر وتُفيد الباطنة الفطرية التي تدفعنا نحو الله وتحملنا على الاقرار مع الاحترام بقدرته تعالى . والحال ان انصار تلك النظرية لفي اقصى دركات الضلال ، وانهم علاوة على ذلك إذ ينبذون الدين القويم ويُفسدون حقيقته يتدرّجون شيئاً فشيئاً الى المذهب الطبيعي فالالحاد. إذن من الواضح ان معاضدة اصحاب هذه التعاليم ومساعيهم هو ابتعاد عن الديانة الموحاة من الله »

وقال ايضاً قداستهُ : « يتضح بكل جلاء ان الكرسي الرسولي لا يستطيع بوجهٍ من الوجوه ان يشترك في مؤتمراتهم وانهُ لا يجوز مطلقاً للكاثوليك ان يوافقوا على مثل تلك المشاريع او ان يعاضدوها . فانهم ان فعلوا كان فعلهم تأييداً لديانة مسيحية كاذبة غريبة تماماً عن كنيسة المسيح الوحيدة. وهل نستطيع

نحن ان نرضى بما يكون في اقصى درجات الغيّ اي ان تكون الحقيقة التي اوحى بها الله مادّة للمفاوضات والمواطنات »

وقال ايضاً قداسته : « كيف يُستطاع اذاً ان يتصوّر عقد حلف مسيحي يكون لكل من اشياعه ، في ما يتعلق بموضوع الايمان ، ان يتمسك بما يحلو لهُ من الآراء والاحكام رغمَ انها لا تتفق مع معتقدات سواه . ثم تسأل باي واسطة يستطيع تأليفَ جمعية مؤمنين واحدة رجالٌ تتناقض مذاهبهم وتتماكس . كالذين يؤكدون مثلاً ان التقليد القدس هو مصدر راهن للوحي الالهي ، والذين ينكرون ذلك . او كالذين يعتبرون نظام السلطة الكنسية المؤلف من الاساقفة فالكهنة وخدّمة الهيكل انهُ ترتيب إلهي ، والذين يؤكدون انهُ نشأ شيئاً فشيئاً حسبما اقتضت الازمنة والظروف . او كالذين يعبدون المسيح الموجود حقيقةً في القربان المقدس بقوة ذاك التحوّل العجيب في الخبز والخمر المعروف بالاستحالة ، والذين يؤكدون ان جسد المسيح لا يوجد هناك الّا بالايمان او بالرمز او بفاعلية السرّ . او كالذين يعترفون بانّ الافخارستيا ذبيحةٌ حقيقية وسرٌ ، والذين يقولون ان ليس هناك سوى ذكرى العشاء الرباني او مثيله . او كالذين يعتقدون انّ من المفيد والممدوح ان نبتهل الى القديسين المتمتعين بالملكوت مع المسيح ولاسيما القديسة مريم العذراء والدة الله وان نتضرّع اليهم ونكرّم صورهم ، والذين يدّعون انهُ لا يجوز اداء تلك العبادة من حيث انها لا تتفق مع شرف «الوسيط الوحيد بين الله والناس » (١ يسوع المسيح . اما نعلم كيف يمكن ان هذا الاختلاف العظيم في الآراء يفتح السبيل الى تحقيق وحدة الكنيسة ، اذ ان الوحدة لا يمكن ان تنجم الّا عن سلطة تعليمية واحدة وعن قانون الايمان واحد وعن عقيدة للمسيحيين واحدة . على اننا نعلم حقّ العلم انهُ بذلك يكون التدرّج الى اهمال الدين او عدم الاكتراث لهُ ، ثم الانحياز الى ما يسمونه بدعة المستحدثين (مودرنيست) التي يزعم دُعاتها الناعمون ان الحقيقة الايمانية ليست مطلقة بل نسبية ، اي انها تتغيّر بتغيّر الازمنة والاماكن وحسب تنازع

(١) ١ تيموتاوس ٢ : ٥

النفوس لانها غير متضمنة في وحي ثابت ولكنها من طبعها ان تكون طبق احوال البشر . زد على ما سبق انهُ في ما يتعلق بحقائق الايمان لا يجوز مطلقاً التمييز الذي يروق بعضهم ادخاله ما بين مواضيع الايمان الاساسية حسب ترلهم والغير الاساسية ، بحيث يكون بعضها واجباً على الجميع التسليم به ويُترك البعض الآخر مباحاً للمؤمنين ان يؤمنوا به او لا يؤمنوا . لان الاساس الحقيقي الذي تقوم عليهِ فضيلة الايمان الدائمة الطبيعة انما هو سلطة الله الموحي وهذه السلطة لا تقبل ايّ تمييز كان من هذا النوع »

فاذا يجب اذاً على الكاثوليك عملهُ تجاه المؤتمرات التي يعقدها البروتستانت ؟ نقول انهُ يتحتم عليهم اولاً ان لا يشتركوا فيها . ويجب عليهم ثانياً ان يشكروا الله على النعمة العظيمة التي منحهم اياها ان يكونوا من ابناء الكنيسة الحقيقية الكاثوليكية الرومانية . ثالثاً ان يبتهلوا الى الله لكي ينير عقول اخوتنا المنفصلين ويحرك قلوبهم بنعمته ليعرفوا الحقيقة وينقادوا لها . قال قداسة الحبر الاعظم :

« علينا ان نحظى بما لم يحظَ بهِ حتى الآن العدد العديد من سلفائنا اي ان نعانق معانقة ابوية اولئك الابناء الذين يحزننا ان نرى الاختلاف المشؤوم يفصلهم عنا . وعسى « الله مخلصنا الذي يريد انّ جميع الناس يخلصون ويبلغون الى معرفة الحق » (١ ان يسمع توسلاتنا الحبية ويتنازل فيدعو جميع الضالين الى وحدة الكنيسة برباط السلام . واننا ، في عمل لهُ مثل هذه الخطورة ، نلتجئ ونريد ان يلتجئ الجميع الى شفاعة الطوباوية مريم العذراء امّ النعمة الالهية قاهرة كل الارتقات ومعونة النصارى ، لكي تنال لنا بأقرب الاوقات بزوغ فجر ذلك اليوم المرغوب فيه اشدّ الرغبة ، يوم يسمع فيه جميع البشر صوت ابنها الالهي « مجتهدين في حفظ وحدة الروح برباط السلام » (٢

كان لرسالة الحبر الاعظم وقع حسن عند كثير من الانكليكان ، وقد اثّر فيهم ما تضمنته من التعليم المنطقي الصريح الجليّ الذي لا يدع مجالاً للريب

(١ ١ تيموثاوس ٢ : ٤ ٢) افس ٤ : ٣

والتمويه. بينما يرون الآراء المتضاربة في كنائس البروتستنت موضوع المناقشات والمجادلات

ان المورننغ پوست، وهي جريدة بروتستانية حائزة على الاعتبار العظيم بين مُطالعيها وجلهم من الطبقة الراقية، خصَّصت مقالة اولية لرسالة الحبر الاعظم قالت فيها: «اننا نرى في تلك الرسالة الاثبات الواضح الغير المتبدل في كل ما يتعلق بالايمان والنظام كما اعتاد ان يراهُ في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لا ابناؤها وحدهم بل العالم اجمع. ان ابناء هذه الكنيسة يُحذَّرون اليوم كما كانوا يُحذَّرون في الماضي من اي خلاف في ايمانهم ... يقول البابا ان كل خرق للحقائق الاساسية في الايمان انما هو خيانة. وانه لمن المستحيل ان نتصوَّر جمعية مسيحية بين المؤمنين يكون لكل من اعضائها الحرية في اتباع آرائه الشخصية في ما يتعلَّق بموضوع الايمان واساسه.» وقال كاتب المقالة:

«اذا عمد ابناء الكنيسة الانكليكانية الى التنديد بهذه الرسالة عُدَّ تنديدهم مخالفاً للياقة والسداد ومستحقاً هزء العقلاء. ان البابا يعلم حق العلم ماذا يريد ان يقول، ويعبّر عنه بعبارات لا ينقصها شيء من الصراحة والسلطة. وهل يمكن ان لا تسمى هذه الصراحة وهذه السلطة حين نرى المصاعب الجمة التي تعترض اليوم الاساقفة الانكليكان؟»

وتكلمت ايضاً جريدة تشرتش تيمس، وهي لسان حال الانكلوكاثوليك من البروتستانت، فاستدحت صراحة اقوال البابا التي بها يرذل تعليم المستحدثين (مودرنيست) القائل بالريب في لاهوت السيد المسيح. وقد لاحظت هذه الجريدة ان رسالة البابا كما كان يُنتظر لا تقبل اي تنازل عن الحقيقة. وان بيوس الحادي عشر يُثبت من جديد انهُ يمثل سلطة الله التي لا تتغلط. ولا يخفى على احد ان جميع الكاثوليك في الكنيسة الرومانية يعترفون بهذه الحقيقة